

علة الحمل على المعنى عند الامام الزمخشري (ت 538 هـ) في كشافه

المدرس الدكتور

عبد جوامير شاطي بحر الكروي

وزارة التربية

المديرية العامة لتربية محافظة ديالى

07721777730 – 07821777730

[Aleradaorg76@gmail.com](mailto:Aleradaorg76@gmail.com)

تاريخ قبول البحث: 2025 / 6 / 30

تاريخ استلام البحث: 2025 / 5 / 22

## المخلص

علم العربية من أشرف العلوم، وأجلها قدراً، وأغناها معنى، وأكثرها صدقاً ونفعاً، وأثبتها قوة؛ لأنها لغة القرآن الكريم، وبها كشفت أسرار القرآن الكريم، وبعد أن جست في كتاب (الكشاف عن حقائق التنزيل) الذي صنعه الأستاذ البارح العلامة أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت 538هـ) أخذت في هاجسي أن اتناول "علة الحمل على المعنى وما جاء بها في كتابه بغية الكشف عن آراء شخصية علمية نحوية، خاصة وأنَّ الشيخ الزمخشري يعد من كبار الادباء والنحويين، ومن أئمة البيان المعترين، إذ يعدُّ الكشاف موسوعةً علميةً في مواضيع التفسير والنحو والقراءات واللغة وغيرها من الموضوعات، ويكفيك بياناً لمكانه وعلو شأنه كثرة ما وضع عليه من حواشٍ وتعليقات تجاوزت المئة.

## Summary

The Arabic language is one of the most noble and prestigious sciences, the richest in meaning, the most truthful and beneficial, and the most powerful. This is because it is the language of the Holy Quran, and through it the secrets of the Holy Quran were revealed. After examining the book "Al-Kashshaf 'an Haqa'iq al-Tanzil" (The Revelation of the Truth), written by the distinguished scholar Abu al-Qasim Mahmud ibn 'Umar al-Zamakhshari al-Khwarizmi (d. 538 AH), I became obsessed with examining the "reason for the meaning" and what he presented in his book, with the aim of uncovering his personal, scientific, and grammatical views. This is especially true since Sheikh al-Zamakhshari is considered one of the greatest writers and grammarians, and a respected master of rhetoric. Al-Kashshaf is considered a scholarly encyclopedia on the topics of interpretation, grammar, readings, language, and other topics. The abundance of annotations and commentaries on it, which exceed one hundred, is sufficient to demonstrate its stature and high standing.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الانبياء المرسلين، وعلى آله الأبرار وصحبه الأخيار ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وبعد فلا شك أن علم اللغة العربية من أشرف العلوم، وأجلها قدراً، وأغناها معنى، وأكثرها صدقاً ونفعاً، وأثبتها قوة؛ لأنها لغة القرآن الكريم، ولغة اهل الجنة، فضلاً عن أنه به تمّ الكشف عن أسرار القرآن الكريم، وبيان أحكام قواعده وتعدد ابناؤه، واشتغل العلماء بعجائب آياته فظهرت فيه الطف العبارات وأسمى الكلام. ولقد أطلعت وأنا اجوس بين فهارس العلماء وآثارهم على كتاب الكشاف عن خصائص التنزيل وعلى آثاره عموماً، ووجدت في نفسي ميالاً إلى بحث " في احدى علل القياس في النحو وهي علة (الحمل على المعنى) لأكشف في ذلك عن شخصية علمية نحوية بارزة، ثمّ تضافر عاملان آخران في توكيد هذا الميل هما:

الأول: أن الامام الزمخشري له آثار حركة لغوية واسعة. والثاني: أنه من اكابر علماء اللغة المفسرين في عصره.

واقترضت دراسة الموضوع أن ينقسم على ثلاث مسائل يسبقها تمهيداً وتليها خاتمة.

أمّا المسألة الأولى فقد أخلصتها للحديث عن علة حمل اسم الإشارة (ذلك) للقريب، وتحدثت في المسألة الثانية عن علة حمل اسم الإشارة (هنالك) للزمان،

وأمّا المسألة الثالثة فقد أخلصتها في الحديث عن علة حمل اسم الموصول (الذي) للجماعة، وفي المسألة الرابعة تحدثت عن (لو) للتمني.

وختمت البحث بخلاصة للنتائج التي توصلت إليها في دراستي.

وإذ أتقدم بهذا البحث أحسب أن ما أقدمه هو جهد المقل، ولكنني اعتمدت على ما أتيت لي، وأمل أن أكون قد وفقت في بيان المكانة الحقيقية للشيخ الامام الزمخشري ومكانته العلمية والنحوية في كشافه.

## التمهيد

أبو القاسم محمود بن عمر جار الله الزمخشري الخوارزمي كتاب (الكشاف عن حقائق التنزيل):

الكشاف من أمات كتب التفسير، أنماز عنها بطريقة عرض ماته، فأئنه يُفسر القرآن بالقرآن وعدته في التفسير الفنقله<sup>(1)</sup>، وهذه الطريقة لم تقتصر على علم التفسير بل اتسعت إلى مختلف العلوم من النحو، وهي أسلوب نافع في التعليم والتأليف ومن فوائده: إثارة انتباه الدارسين وتنشيطهم، وإبراز المسائل الصعبة، وترسيخ المعاني والمسائل في الذهن، ودفع التوهم والإشكالات، وتقوية القرائح، واستثارة القدرات.

افتتح الزمخشري كشافه بمقدمة ذات أسلوب بلاغي جميل، أثنى فيها على الله تعالى بما هو أهل له، ثم بين فيها أن علم التفسير ليس كباقي العلوم، التي إن تفاوتت فيها العلماء لم يكن تفاوتهم كما يقول إلا بخطأ يسيرة ومسافات قصيرة، بل إن علم التفسير علم "تباينت فيه الرتب، وتحاكت فيه الركب ووقع فيه الاستباق والتناضل، ولم يكتف الزمخشري بشاهد واحد بل كان يكثر من الشواهد، فلم يكن همه التفسير وإظهار دلالة أو معنى فحسب، بل في إثبات الأحكام النحوية والصرفية، فعندما يعرض مسألة نحوية يقوم بذكر الحكم، وبعد إسناده بالشواهد يشرع في بيان الوجوه الأخرى المحتملة له بذكره مصطلح (يجوز) إذا ما احتمل الحكم حكم آخر، كما إنه حرص على اظهار المعنى بصورة دقيقة، فهو يسخر النحو لخدمة المعنى ومن ذلك ((ما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ البقرة [180]، (إذا حضر) ظرف للشهادة، وحين الوصية بدل منه وفي إبداله منه دليل على وجوب الوصية، وأنها من الأمور اللازمة التي ما ينبغي أن يتهاون بها مسلمٌ ويذهل عنها))<sup>(2)</sup>.

(1) الفنقلة: هي أسلوب افتراض الأسئلة والاجوبة، وصارت طابعاً مميزاً لتفسير الزمخشري، أو هي ظاهرة يلمسها كل من يقرأ تفسيره

(2) ينظر: منهج الكشاف في تفسير القرآن وبيان إعجازه 170.

وإظهار المعنى في الكشف قائم على الأحكام الإعرابية في كثير من المسائل وتعليقاتها والشواهد القرآنية، أو الشعرية، أو الأمثلة المصنوعة، فهو يكشف عن المعنى الدقيق والحكم النحوي بما يوافق المعنى، وهي أفضل ميزة أنماز بها الكشف.

أنَّ الزمخشري يجر في تفسيره من حيث ترتيبه شرع في تفسير القرآن من سورة الحمد إلى آخر القرآن، ذكر جمع من الآيات، بيان محل نزولها مكية أو مدينة والاجتهاد فيها، ثم ذكر أسماء السورة، يبدأ مكيا ومدنيها، لذلك إذا نري من حيث ترتيب الآية في تفسيره هو التفسير التحليلي، وهذا منهج واضح عند الامام الزمخشري.

وعليه فالكشف يمثل غاية في الشرف والفائدة، وهو بحق كتاب جامع مانع، فهو موسوعة لغوية تحمل في طياتها كل علوم اللغة من تفسير ونحو وصرف وبلاغة وصوت، وفيه جمع ملم بما تناوله من مسائل، فضلاً عن نظر صاحبه بدقائق الأمور.

### المسألة الأولى:

#### حمل (ذلك) الاشارة للقريب:

(ذلك) اسم يُشارُ به إلى البعيد نحو : (انظر إلى ذلك الجبل) ، اشارةً للجبل البعيد، ولكنَّ الزمخشريُّ

(538هـ) ذهب إلى أنَّ (ذلك) أُستعمل إلى ما هو ليس ببعيد في قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ

#### فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿البقرة [2]

فإن قلت: لِمَ صَحَّتْ الاشارةُ ب(ذلك) إلى ما ليس ببعيدٍ ؟ قلت: وَقَعَتِ الاشارةُ إلى (ال م) بعدما سبق

التكلمُ به وتَقَضَّى، والمنقَضِي (1) في حكم المتباعدِ، وهذا في كلِّ كلامٍ يُحدِّثُ الرجلُ حديثاً ثم يقولُ:

وذلك ما لا شكَّ فيه... وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ

<sup>1</sup> (-) - الكشَّاف: في (ف) و (م)، ((والمقتضي))، وفي (ش) ((والمقتضي)).

لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ۖ فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿البقرة [68]﴾، ولأنه لمَّا وَصَلَ مِنَ الْمُرْسَلِ إِلَى الْمُرْسَلِ إِلَيْهِ وَقَعَ فِي حَدِّ الْبُعْدِ، كَمَا تَقُولُ لِصَاحِبِكَ وَقَدْ أُعْطِيَتْهُ شَيْئًا: اِحْتَفِظْ بِذَلِكَ)) (1)

فحملَ (ذلك) معنى الإشارة للقريب، وأوضح المبرد (ت285هـ) أنَّ (ذلك) في قوله تعالى: (ذلك الكتاب لا ريب فيه) فيه إشارة للغائب وبما أنَّ (ذلك) للبعد والمعنى: (ذلك الكتاب الذي كنتم تستفتحون به) والتقدير: (هذا الكتاب) أي أنَّ (ذلك) للبعد والاستعمال مجازي (2) فوصلت الإشارة من الغائب إلى الحاضر ولو كانت الإشارة من الحاضر لصحَّ استعمال (هذا)، وعدَّ الزجاجي (ت340هـ) (اللام) في (ذلك) لام التكرير (3) إشارة لكثرة آيات الكتاب، ففي لام البعد تصحُّ الكثرة والمفرد.

وبينَ ابن يعيش (ت643هـ) معنى (ذلك) بقوله: ((الاسمُ فيه ذا والكاف للخطاب وزيدت اللام لتدلُّ على بُعد المُشار إليه وكُسِرَت لالتقاء الساكنين ولم تُفْتَحْ لئلا تلبس بلام المُلكِ لو قلت: (ذلك) فذا اسم إشارة للقريب بتجردها من قرينة تدلُّ على البعد فكانت على بابها من إفادة قرب المُشار إليه لأنَّ حقيقة الإشارة الإيحاء إلى حاضرٍ فإذا أرادوا الإشارة إلى متباعدٍ زادوا كاف الخطاب وجعلوه علامة لتباعد المُشار إليه، فقالوا: (ذاك) فإن زاد بُعد المُشار إليه أتوا باللام مع الكاف فقالوا: (ذلك) واستفيدَ باجتماعها زيادة في التباعدِ لأنَّ قوَّة اللفظ مُشعرة بقوة المعنى)) (4).

وعللَ الرضي (ت686هـ) الإشارة للقريب ب(ذلك) لأنه يأتي لبيان عظمة الشيء ومنزلته، فكما كان المُشارُ إليه أقرب ارتفع شأنه عند المتكلم كقوله تعالى: {قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لُمْتُنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ} يوسف [32]

(1) - الكشاف: 1 / 67.

(2) - ينظر رأي المبرد: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: 1 / 158، معاني القرآن الكريم: للنحاس 1 / 78.

(3) - ينظر: اللامات 32.

(4) - ينظر شرح المفصل لابن يعيش: 3 / 135.

من باب عظمة المشار إليه <sup>(1)</sup>، ويجوز ذكر البعيد بلفظ القريب تقريباً لحصوله هذا ما ذهب إليه ابن مالك (672هـ)<sup>(2)</sup> نحو: (هذه القيامة قد قامت).

وجوز أبو حيان (745هـ) بقوله: (وقد ينوب ذو البعد عن ذي القرب لعظمة المُشير أو المُشار إليه، وقد يكون (ذلك) للحاضر بمعنى (هذا))<sup>(3)</sup>، وذكر في موضع آخر أنّ (لام) ذلك استعملت لبعد منال هذا الامر لكونه خارقاً للعادة <sup>(4)</sup> ووافقه أبو عبد الله السلسلي (770هـ)، والسيوطي (ت 911هـ) في أنّ ذا البعد قد ينوب عن ذي القرب لرفعة المُشار إليه<sup>(5)</sup>.

وقد تستعمل (ذلك) للقريب المفردة المؤنثة بشرط أن تكون خالية من حرف التنبيه (ها)<sup>(6)</sup>.

وهذا يعني أنّ (ها) التنبيه التي للقريب لا يمكن أن تكون للبعيد على عكس (لام البعد) قد تعطي الاشارة للبعيد وللقريب، ومجيئها للقريب هو مجازي ليظهر مكانة المشار إليه عند المتكلم.

وفي موضع آخر ذهب جمع من العلماء ومنهم الفراء (ت 207هـ)<sup>(7)</sup>، ابو عبيدة (ت 209هـ)<sup>(8)</sup>، والنحاس (ت 338هـ)<sup>(9)</sup>، والانباري<sup>(10)</sup> (ت 577هـ)، والسمين الحلبي<sup>(11)</sup> (ت 756هـ) إلى أنّ (ذلك) في قوله تعالى:

<sup>(1)</sup> - ينظر: شرح الرضي على الكافية 3 / 492 .

<sup>(2)</sup> - ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد 1 / 241.

<sup>(3)</sup> - ارتشاف الضرب: 3 / 206.

<sup>(4)</sup> - ينظر: تفسير البحر المحيط 2 / 463.

<sup>(5)</sup> - ينظر: شفاء العليل في ايضاح التسهيل، 260، والتذييل والتكميل 3 / 207، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع:

252 / 1.

<sup>(6)</sup> - ينظر: الكواكب الدرية 1 / 85.

<sup>(7)</sup> - معاني القرآن: 1 / 11.

<sup>(8)</sup> - مجاز القرآن: 6 .

<sup>(9)</sup> - اعراب القرآن: 12 .

<sup>(10)</sup> - الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين: 582.

<sup>(11)</sup> - الجامع لأحكام القرآن: 1 / 242 .

ذلك الكتاب لا ريب فيه) بمعنى (هذا الكتاب) وهذا ما ذهب اليه الجرجاني (ت471هـ) بأنه يُشار به للقريب بمعنى (هذا).

وقد فسّر القرطبي (ت671هـ) مجيئ (ذلك) بمعنى (هذا) والفرق بينهما أنّ (ذلك) يشار به إلى الغائب و (هذا) يشار به إلى الحاضر، وبما أنه المشار إليه (ما قد نزل من القرآن في مكة) وهو غائب فصَحَّ استعمال (ذلك).

أمّا الزجاج (ت311هـ) فقد جوّز في (ذلك) الوجهان: فإن شئت قلت فيه (هذا)، لأنّ (ذلك) بمعنى: (تلك علامات الكتاب) فلام البعاد تصحّ فيه لأنّ المشار إليه (العلامات) وليس الكتاب، واللام لتوكيد الاسم، فعند قولنا: ذاك الحقّ وذلك الحقّ، فاللام أكدت معنى الإشارة<sup>(1)</sup>.

والخلاف كائن في المشار اليه فقد يكون التعبير عن مضمون كلام على اثر انقضائه، وهو شائع في القرآن وأمّا اللام فهي عوضا عن هاء التنبيه التي لا تجتمع معها، كما بينه المرادي (749هـ)<sup>(2)</sup> عند إلحاق (لام) البعد ب(ذا) يكون المعنى للبعيد والكاف للخطاب، ليحمل المعنى المجازي وهو الإشارة وتنبية المخاطب الحاضر لأمر ذلك الكتاب وأهميته وعادة تُستعمل (ذلك) إشارة إلى الغائب، والعرب يستعملون المجاز إذا كان الحديث في موضع الاهتمام، ليقربوا البعيد وينبهون السامع بأهمية المُشار إليه.

<sup>(1)</sup> - ينظر معاني القرآن وعرابه: 1 / 67 - 68.

<sup>(2)</sup> - ينظر: توضيح المقاصد بشرح الفية ابن مالك: 1 / 411.

## المسألة الثانية:

## حمل (هنالك) الاشارة إلى الزمان:

اسماء الاشارة منها ما يكون للبعيد ومنها ما يكون للقريب، ومنها ما يختص بالزمان أو المكان كقولنا: هنالك كتاب، فهناك أشارت إلى مكان الكتاب ولكن الزمخشري علل عدول (هنالك) من الاشارة من المكان إلى الزمان في قوله تعالى: { هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ } **آل عمران [38]**، اذ قال: ((هُنَالِكَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ حَيْثُ هُوَ قَاعِدٌ عِنْدَ مَرْيَمَ فِي الْمِحْرَابِ، أَوْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَقَدْ يُسْتَعَارُ (هنا) و (ثُمَّ) و (حَيْثُ) لِلزَّمَانِ، لَمَا رَأَى حَالِ مَرْيَمَ فِي كِرَامَتِهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَمَنْزِلَتِهَا رَغَبَ فِي أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنْ إِشَاعٍ وَلَدٌ مِثْلُ وَلَدِ أختها حنّة في النجابة والكرامة على الله وإن كانت عاقراً عجوزاً فقد كانت أختها كذلك ))<sup>(1)</sup>.

وذكر الزجاج أنّ (هنالك) في موضع نصب على الظرفية المكانية أو أحوال الزمان والمعنى في ذلك المكان من الزمان ومن الحال (دعا زكريا)<sup>(2)</sup>.

وبيّن مكي بن ابي طالب القيسي (437هـ) أنّ (هنالك) ظرف زمان والعامل فيه (دعا)، وقد تكون للمكان وإنّما اتسع فيها فوقعت للزمان بدلالة الحال والخطاب<sup>(3)</sup>

فظرفية (هنالك) للزمان بعدما عدلت عن المكان وحملت معنى الزمان، ولو قلنا: من هنا بدأت الحكاية، فهذا يعني من هذا المكان والزمان بدأت القصة، فلم تكن (هنالك) مقصورة على المكان فقط.

وصرح ابو حيان (745 هـ) أنّ (هنالك) يُشارُ بها إلى المكان ويمكن الاشارة بها إلى الزمان كما جاء في قوله تعالى: { هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَرُزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا } **الأحزاب [11]**، وفسرها: (في ذلك الزمان ابتلي

<sup>(1)</sup> - (الكشاف: 2 / 59 .

<sup>(2)</sup> - ينظر: معاني القرآن وعرابه 1 / 314.

<sup>(3)</sup> - ينظر: اعراب مشكل غريب القرآن 1 / 137.

المؤمنون<sup>(1)</sup>، وأكّد المرادي (ت749هـ) أنّ (هنالك) للزمان<sup>(2)</sup>، أمّا أبو عبد الله السلسيلي (ت770 هـ) يرى أنّ (هنالك) يُشارُ به إلى المكان العبيد، وإلى الزمان كقوله تعالى: { هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا } **الأحزاب [11]**،<sup>(3)</sup> أمّا قول الأزهري: (ت 905 هـ)، أنّ (هنالك وثمّ) ملازمة للظرفية المكانية فلا تخرج عنها إلاّ لحالة شبيهة بها نحو: (جئت من ثمّ)، فإنّ الظرف والجار والمجرور اخوان<sup>(4)</sup> وأكد السيوطي إلى أنّ الإشارة بما يدلّ على الظرفية قد يُشار بها للزمان<sup>(5)</sup>، وجاء في النحو الوافي أنّ (هنالك) قد تنصب على الظرفية الزمانية<sup>(6)</sup>.

ويرى عبد الرحمن المكودي (ت807هـ) أنّ الظروف (هنا، وهناك، وهناك) تستعمل للمكان دون غيره ووافقه ابن طولون (ت 953هـ)<sup>(7)</sup>، ولكنّ المفضل ذهب إلى أنّ (هناك) يشار بها للمكان، و (هنالك) يشار بها للزمان<sup>(8)</sup>.

والأصل في (هنالك) الظرفية المكانية، وفي بعض المواضع حملَ ظرفية الزمان كقولنا: (هنالك ارتفع الحقّ)، فارتفاع الحقّ جاء في وقت اشتداد الامور، وهذا ما وجدناه في الآيات التي ذكرناها حيث دعا زكريا وقت تأزم الامور وكذلك وقت ابتلاء المؤمنون، فيحملُ (هنالك) على معنى الزمان وقت تعاضم الاحداث ويخرج من المكان إلى الزمان ليكون السياق مناسباً للمقام، وقد تحتلُ (هنالك) الوجهين، كما جاء في قوله تعالى: { هُنَالِكَ أَوْلِيَهُ بِهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ نَّوَابِئًا وَخَيْرٌ عُقْبًا } **الكهف [44]**<sup>(9)</sup>.

(1) - ينظر: التذييل والتكميل: 3 / 212.

(2) - ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح الفية ابن مالك 1 / 414.

(3) - ينظر: شفاء العليل في ايضاح التسهيل 262 .

(4) - ينظر: شرح التصريح على التوضيح 1 / 129.

(5) - ينظر: الهمع 1 / 254.

(6) - ينظر: النحو الوافي 1 / 338.

(7) - ينظر: شرح ابن طولون على ألفية ابن مالك 1 / 136.

(8) - ينظر الهمع: 1 / 255.

(9) - ينظر: اعراب مشكل غريب القرآن 1 / 138.

## المسألة الثالثة:

## حمل (الذي) على معنى الجماعة:

(الذي) اسم موصول يُستعمل للمذكر العاقل، و(الذين) يُستعمل لجماعة العقلاء الذكور، وبينَ الزمخشري أن (الذي) يُستعمل لجماعة العقلاء الذكور في قوله تعالى: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ} البقرة [17]، إذ قال: ((فإن قلت: كيف مُثِّلَت الجماعة بالواحد؟ قلت: وُضِعَ (الذي) موضع (الذين)، كقوله: {كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا} أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} التوبة [69].

والَّذِي سَوَّغَ وَضَعَ (الَّذِي) موضع (الَّذِينَ) - ولم يَجُزْ وَضَعَ الْقَائِمِ مَوْضِعَ الْقَائِمِينَ وَلَا نَحْوَهُ (1) من الصفات - أمران :

أحدهما: أَنَّ (الَّذِي) لكونه وُصِّلَ إِلَى وَصْفٍ كَلِّ مَعْرِفَةٍ بِجَمَلَةٍ، وتكاثر وقوعه في كلامهم، ولكونه مُسْتَطَالًا بصلته - حقيقًا بالتخفيف، ولذلك نهكوه (2) بالحذف فحذفوا ياءه، ثُمَّ اقْتَصَرُوا بِهِ عَلَى اللَّامِ وَحْدَهَا فِي أَسْمَاءِ الْفَاعِلِينَ وَالْمَفْعُولِينَ.

والثاني: أَنَّ جَمْعَهُ لَيْسَ بِمَنْزِلَةِ جَمْعٍ غَيْرِهِ بِالْوَاوِ وَالنُّونِ وَإِنَّمَا ذَاكَ عِلْمًا لزيادة الدلالة ألا ترى أَنَّ سَائِرَ الْمُوصُولَاتِ لَفْظُ الْجَمْعِ وَالْوَّاحِدِ فِيهِنَّ وَاحِدٌ، أَوْ قُصِدَ جِنْسُ الْمُسْتَوْقِدِينَ أَوْ أُرِيدَ الْجَمْعُ أَوْ الْفَوْجُ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا(3).

(1) - الكشاف: 1 / 137 .

(2) - قوله: نهكوه، أي نقصوه، انظر: حاشية التفتازاني على الكشاف (و43 ب)

(3) - الكشاف: 1 / 138 .

وذكر السيوطي أنّ الاخفش اعتبر (الذي) يستعمل مع المفرد والتمثي والجمع<sup>(1)</sup>، فالذي حمل على معنى الجمع (خاضوا) لأنّه مفرد في اللفظ وجمع في المعنى<sup>(2)</sup> وعلل ذلك بوجهين: الاول هو (الذي) ك(من) و(ما) في الاستعمال، والثاني حذف نون (الذين) لإطالة الكلام بالصلة<sup>(3)</sup>، وعلل الاسترادي أن (الذي) وصف به مقدر مفرد اللفظ مجموع المعنى والتقدير: إنّ الجيش الذي<sup>(4)</sup>.

وجاء في شرح التسهيل أنّ (الذي) قد يوصف به مصدر ثمّ يُحذف المصدر ويقوم مقامه، فيؤول مع ما يليه بمصدر وموصوف المصدر لا يستغني عن عائد، وحذف العائد إلى الذي لأنه منصوب متصل بفعل<sup>(5)</sup>.

وقد ذكر القرطبي (ت 671هـ) أن (الذي) وصف لمصدر محذوف تقديره: وخضتم كالخوض الذي خاضوا<sup>(6)</sup> وأوضح الامام السغناقي (ت 714هـ) إمّا الضمير العائد إلى المفعول المحذوف، أو (الذي) صفة الفوج أوجب أن يكون الذي من غير حذف النون، والتقدير: كالفوج الذي خاضوا، أو كالخوض الذي خاضوه، فمجال (الذي) في باب الاخبار أوسع<sup>(7)</sup>، ولكن في تهذيب التوضيح قد بيّن أنّ (الذي) جاء عوضاً عن المصدر (كخوضكم) وقد افتقر إلى الوصل أو عائد أو أنّ (الذي) حُذف من النون<sup>(8)</sup>.

ومن أغراض التشبيه أنّ بيان مقدار القوة والضعف إذا كانت صفته معروفة قبل التشبيه فيه، وتزوين المشبه وتحسين حاله ليرغب فيه، فالتشبيه بالمفرد أكثر دلالة من التشبيه بالجمع فعند قولنا: (الجنود كالأسد) و(الجنود كالأسود) فبلاغة المفرد أكثر تأكيداً من الجمع، لذا كثيراً ما نرى أنّ القرآن يستعمل تشبيه الجماعة بالمفرد كقوله تعالى: { الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ

<sup>(1)</sup> - ينظر: الهمع 1 / 285.

<sup>(2)</sup> - ينظر: التبيان في اعراب القرآن 1 / 33 .

<sup>(3)</sup> - ينظر: المصدر نفسه 1 / 33.

<sup>(4)</sup> - ينظر: شرح الكافية للاسترادي 3 / 104.

<sup>(5)</sup> - ينظر: شرح التسهيل 1 / 184.

<sup>(6)</sup> - ينظر: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة واي الفرقان 1 / 321.

<sup>(7)</sup> - ينظر شرح المفصل للسغناقي : 927.

<sup>(8)</sup> - ينظر تهذيب التوضيح : 1 / 39.

الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ { البقرة [275]

وقوله تعالى: { وَمِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمِثْلِ الَّذِينَ يَنْعِقُونَ بِمَا لَا يَسْمَعُونَ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ { البقرة [171]

وقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمِثْلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ { البقرة [264].

فورد التشبيه بالمفرد ب(الكاف) مع اسم الموكالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قووة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلقهم فاستمتعتم بخلقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلقهم وخضتم كالذي خاضوا أولتكم خبطت أعملهم في الدنيا والآخرة وأولتكم هم الخسرون صول (الذي) في القرآن تسع مرات، فأيهما أبلغ البلاغة في المفرد أم في الجمع وهذا ما أكده الأزهرى (905 هـ) بأن الافراد أكثر في الاستعمال وأبلغ في المعنى من الجمع (1).

(1) - شرح التصريح على التوضيح 2 / 280.

## المسألة الرابعة:

حمل (لو) على التمني بمعنى (ليت)

التمني هو امر محبوب غير متوقع الوصول، كقولنا: (لو أن لي مالاً فأنفقه في سبيل الخير)، ف(لو) هنا أفادت التمني بدلالة (الفاء) الواقعة في جوابها، وهذا ما ذهب إليه الزمخشري في قول تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ } البقرة [167]، بقوله: (لو في معنى التمني، ولذلك أُجيب بالفاء الذي يُجاب بهي التمني؛ كأنه قيل: ليت لنا كرةً فننتبرأ كمهك)<sup>(1)</sup>.

وذكر سيبويه (لو) حرف تمني بقوله: ((ولو بمنزلة (إن) لا يكون بعدها إلا الأفعال، فإن سقط بعدها اسم ففيه فعل مضمّر في هذا الموضع تُبنى عليه الأسماء، فلو قلت: (ألا ولو بارداً) لم يحسن إلا النصب؛ لأنّ (بارداً) صفة<sup>(2)</sup>))، وأكد الأخفش أنّ (لو) حُمّلت على (ليت) في التمني<sup>(3)</sup>.

وذكر المالقي أنّ (لو) تكون بمنزلة (ليت) في المعنى لا في اللفظ والعمل، وترد الفاء في جوابها<sup>(4)</sup>، وأوضح المرادي أنّ (لو) ك(ليت) في قولنا: (لو تأتينا فتحدثنا) فهي نصبت الفعل بعدها ك(ليت) مقروناً بالفاء، والتقدير: ليتك تأتينا فتحدثنا<sup>(5)</sup>، وميّز ابن مالك بين (لو) للتمني و (لو) المصدرية بقوله: ((إن أراد به الحذف، أي: (وددت لو تأتيني) فصحيح، وإن أراد أنّها موضوعة للتمني فغير صحيح؛ لأنّها لو كانت موضوعة للتمني ما جاز الجمع بينها وبين فعل التمني، لا يُقال: (تمنيتُ لو تفعل))<sup>(6)</sup>، وذكر أبو حيان في قول المهلهل بن ربيعة<sup>(7)</sup>:

(1) الكشاف: 1/ 399.

(2) الكتاب: 1/ 269-270.

(3) ينظر: معاني القرآن للأخفش 230-231.

(4) ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني 360.

(5) ينظر: الجنى الداني 289.

(6) ينظر: تفسير البحر المحيط 201/7.

(7) ديوان المهلهل 11، وشرح الشواهد الشعرية في امات الكتب 1/ 475.

## فلو نُبِشَ المقابِرُ عن كُليبٍ فتُخبر بالذنائب أيُّ زيرٍ

وذكر المرادي أن (لو) التمني فيها ثلاثة أقوال: (الأول) أنها قسم برأسه، ولا تجاب كجواب الامتناعية، نصَّ عليه ابن الضائع وابن هشام والخضراوي، والثاني أنها الامتناعية أُشربت معنى التمني، والثالث أنَّها المصدرية أغنت عن التمني؛ لأنها لا تقع غالباً إلا بعد مُفهم تمنٍ وهو قول ابن مالك ونصَّ على أن (لو) في قوله تعالى: { فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } الشعراء [102]، فشابهت (لو) (ليت) من حيث العمل، كقولنا: (لو تأتينا فتحدثنا)، فنصب الجواب (تحدثنا) بـ(الفاء)<sup>(1)</sup>.

أمَّا السيوطي فيرى: ((أنَّ (لو) الشرطية أُشربت معنى التمني، مُستدلاً بـ(الفاء) الواقعة في جوابها))<sup>(2)</sup>، ووافقته في ذلك البلاغيون معتمدين على (الفاء) بأنَّها قرينة مستعملة في معنى التمني، وقد خرجت عن أصلها إلى معنى المحال، وهذا المحال هو كثرة التمني<sup>(3)</sup>، وهذا ما أوضحه الدسوقي وهو التمني بـ(لو) بدلاً من (ليت) بقوله: ((هو الإشعار بعزة التمني وندرته حيث أبرزه في صورة ما لم يوجد؛ لأنَّ (لو) بحسب أصلها حرف امتناع لامتناع))<sup>(4)</sup>.

والتمني في ما ذكره الزمخشري في الآية السابقة واضح من المعنى ليس فقط في (الفاء)، فهم طلبوا أمراً مُستحيلاً ومحبيباً إليهم وهو العودة إلى الحياة الدنيا للتبرأة ممن غرروا بهم في حياتهم، والأمر الآخر أنَّ (لو) جاءت للمستقبل، وهناك علاقة بين المستقبل والتمني، فغالباً يرسم امنياتة على المستقبل، وهذا ما نفعله بـ(ليت)، ولعل مستقبلية (لو) جعلت (الفاء) تضع الفعل المضارع في المستقبل الغير متوقع الحصول، فالتبرئة معهودة بالكرة، وكلاهما محال.

(1) ينظر: البرهان في علوم القرآن 1165/4.

(2) مع الهوامع 66/2.

(3) مفتاح العلوم 147، والإيضاح 131/1، وشرح التلخيص 241-242.

(4) حاشية الدسوقي على شروح التلخيص 241/2.

## الخاتمة:

- دراسة كتاب الكشف توفر نظرة متعمقة في إعجاز القرآن الكريم من خلال تحليل اللغة العربية والأساليب البلاغية المستخدمة عن الامام الزمخشري.
- يعتمد الامام الزمخشري على منهج تحليلي في تفسيره، مما يساعد على فهم أعمق لمعاني الآيات القرآنية.
- يوضح الكشف كيف أن اللغة العربية هي مفتاح لفهم القرآن الكريم، وكيف أن القرآن الكريم هو نموذج فريد في البلاغة والإعجاز.
- وصف الامام الزمخشري ظاهرة الحمل على المعنى في فهم الآيات القرآنية المشكلة وفض مشكلها النحوي، كما فعل غيره من علماء اللغة.
- ان حمل بعض المشكلات النحوية على المعنى، يساعد على استدعاء الصورة التركيبية الباطنة، ويكشف عن بعض المعاني التي لأجلها عدل التعبير عما يقتضيه الظاهر.
- الحمل على المعنى سبيل إلى حل الالتباسات التركيبية في الكلام العربي وفي القرآن الكريم، إذ هو منزل على أوضاع اللغة العربية، وقد تعددت صور الحمل على المعنى التي افضت إلى إمارة اللثام على الغموض الذي طرأ على بعض الآيات، وهذا جاء واضحاً عند الامام الزمخشري في كشفه وما ذكرناه من مسائل في بحثنا هذا يوضح ذلك.